الأساليب المعرفية كمحددات للشخصية الأنسانية

د/ جمال الدين محمد الشامي*

مقدمة:

لقد اختلفت التفسيرات العلمية للعمليات النفسية باعتبارها متغيراً وسيطاً (داخلي)؛ وذلك وفقاً للمدارس النفسية المختلفة التي تناولتها بالدراسة والبحث. فبينما يرى علماء النفس السلوكيين العمليات النفسية على أنها متغير داخلي يعمل وفقاً للارتباطات بين المثيرات والاستجابات، نجد أن أصحاب النظريات المعرفية قد ركزوا جل اهتمامهم على الطرق التي يستطيع الأفراد عن طريقها تنظيم وتخزين المعلومات في الشكل الذي ييسر تذكرها واسترجاعها وذلك في أثناء تعاملهم مع بيئاتهم المتباينة.

ولقد تبنى كثير من الباحثين والمشتغلين بعلم النفس الاتجاه الذي اتخذه أصحاب النظريات المعرفية (علم النفس المعرفي) باعتباره المدخل الأكثر ملاءمة لتفسير السلوك عامة والتعلم خاصة. ومن ثم أصبح هذا الاتجاه أكثر ملاءمة وفهماً لكثير من أساليب النشاط العقلي التي يمارسها الإنسان في كثير من مواقفه الحياتية التي يتفاعل من خلالها مع عناصر البيئة المحيطة به في أشكالها المختلفة. ولذا أصبح علم النفس المعرفي وعلماؤه في مركز ذي أهمية خاصة بين مدارس علم النفس المختلفة.

ويشير مصطلح معرفة Cognition إلي جميع العمليات النفسية التي بواسطتها يتحول المدخل الحسي Sensory Input فيطور ويختصر ويختزن لدى الفرد إلي أن يستدعي استخدامه في المواقف المختلفة. ومن أهم العمليات النفسية التي تتعرض لها المدخلات الحسية عمليات الإدراك، والتخيل، والتذكر، والاستدعاء، والتخزين، والتحويل، والتفكير وغيرها من العمليات النفسية المختلفة. ويتضح من ذلك أن المعرفة تدخل في جميع ما يمكن للإنسان أن يفعله أو يمارسه في حياته بصفة عامة. كما يتبين كذلك أن كل ظاهرة نفسية لدى الإنسان هي ظاهرة معرفية. (نادية شريف، ١٩٨٢) إلا أن الدراسات والبحوث التي تناولت دراسة الإدراك Perception باعتباره أحد العمليات النفسية للفرد، لم تهتم بدراسة شخصية الفرد المدرك في بداية الأمر، ولكن بدأ الاهتمام بدراسة العوامل الشخصية والاجتماعية المحددة للإدراك في أبحاث المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية للدراسات النفسية (A.P.A.)** عام (١٩٤٩)؛ حيث اهتم علماء الإدراك والشخصية بربط الفروق الفردية في بعض خصائص الشخصية بطريقة الإدراك، ومن ثم أصبحت نظرتهم الجديدة للإدراك من خلال نظريات الشخصية لا باعتبار أن للإدراك دوراً مهماً في تحديد الفروق الفردية في القدرات والذكاء فحسب، بل باعتباره أيضاً وسيلة مهمة في تحديد الفروق المختلفة بين الأفراد في الأساليب المعرفية Cognitive Styles (أنور الشرقاوي، ١٩٨٥)، والتي تميز الأفراد في تعاملهم مع الموضوعات المختلفة. وهذه الأساليب تدل علي مركبات من الاستعدادات المعرفية والوجدانية، وعلى الطرق المميزة للأفراد في حل المشكلات.

وبذلك يتخطى مفهوم الأساليب المعرفية الحدود التقليدية التي سادت في التصورات النظرية للشخصية إلى آفاق أبعد وأعمق؛ حيث تعد النظرة إلى الشخصية من خلال هذا المفهوم نظرة كلية شاملة متكاملة تدخل فيها الجوانب المعرفية والانفعالية ومفهوم الذات وأساليب التكيف. (Witkin & Goodenough , 1981).

وعلى هذا تزايد الاهتمام بدراسة الأساليب المعرفية باعتبارها أبعاداً مهمة داخل المجال المعرفي، وميزة مهمة داخل مجال الشخصية؛ حيث يلعب الأسلوب المعرفي للفرد دوراً في العملية التعليمية لا يمكن تجاهله من كونه الطريقة الشخصية التي يستخدمها الأفراد أثناء عملية التعلم. ومن ثم يشير الأسلوب المعرفي إلى نموذج ناشئ أو استراتيجية مفضلة لتجهيز

المعلومات. (فاطمة فريد، ١٩٨٦) ويؤكد ذلك " وتكن " (Witkin et Al, 1977) حيث يرى أن كلمة أسلوب Style تعني بعداً ذا صفة خاصة أو طريقة مميزة تواكب سلوك الفرد في نطاق واسع من المواقف، ولأن هذا الأسلوب يشمل كلاً من الأنشطة الادراكية والمعرفية فقد سمي بالأسلوب المعرفي. ومن ناحية أخرى فالقدرات العقلية في جوهرها أنماط أو استراتيجيات معرفية، وتشمل في هذا ما يسمى بالعمليات المعرفيةCognitive Processes في الإطار التجريبي و الأساليب المعرفية في الإطار الفارق.(فؤاد أبو حطب، ١٩٩٠)

ومن ثم فقد ظهر العديد من الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع الأساليب المعرفية، وقد اهتمت هذه الدراسات بدراسة الفروق الفردية في الإدراك، وتحت المستوى العتبي للإدراك Subliminal Perception، واختلاف الدفاعات الإدراكية Perceptual Defens، الأمر الذي كان له دور كبير في ظهور عدد وفير من الأبحاث التي تناولت الأساليب المعرفية عند " وتكن وزملائه "، والضوابط المعرفية Cognitive Controls بواسطة "مجموعة منجر " Menger- Group " التي نظرت للأساليب المعرفية على أنها أنماط من الضوابط المعرفية التي تميز الفرد عن غيره من الأفراد. (Witkin & Goodenough , 1981؛ بدوي علام، ١٩٨٥؛ جمال محمد علي، ١٩٨٧)

ونظراً لأهمية الأساليب المعرفية سوف نتناول بعض النقاط الأساسية والمتعلقة بها بشئ من الإيجاز:

(١) ماهية الأساليب المعرفية

نتيجة للاهتمام المتزايد بالأساليب المعرفية فقد ظهر العديد من التعريفات لها منها تعريف "هارفي Harvey" عام (١٩٦٢)، والذي يعد من التعريفات المبكرة حيث يرى أن الأساليب المعرفية تشير إلى الأسلوب الذي يرشح Filter ويجهز Processes المعلومات الواردة من البيئة، والذي يعطي لها المعنى النفسي المتمثل في استخدامها. Goldstein & (Blackman,1978). أما "أنستازي Anastasi" و"والاش Wallach" (١٩٦٣) فقد عرفا الأساليب المعرفية بأنها سمات عريضة ومنتظمة تؤثر في استجابات الفرد تجاه المواقف المختلفة (Saracho & Doyton, 1980).

وعرفها كل من "كاجان Kagan" و "موس Moss" و " سيجل Sigel"(١٩٦٧) بأنها مصطلح يشير إلى أسلوب أداء ثابت يفضله الأفراد في التنظيم الإدراكي، والتصنيف المفهومي للبيئة الخارجية المحيطة بهم (Coop & Brown, 1970).

ويعرف كل من "وتكن Witkin" و "التمان Oltman" و "راسكن Raskin" و "كارب Karp" (١٩٧١) الأساليب المعرفية بأنها أشكال التوظيف المتميز بخاصية ثبات الذات، والتي يظهرها الأفراد في الأنشطة العقلية والادراكية، وهذه الأساليب تتجلى بوضوح في المجال المعرفي للأبعاد العريضة للتوظيف الشخصي، والتي تتفاعل عبر مجالات نفسية متباينة. أما "ميسيك Messick " (١٩٧٦) فعرف الأسلوب المعرفي بأنه يمثل أنماطاً متسقة لتنظيم وتجهيز المعلومات. ويتشابه ذلك مع ما أكده "زاجونك Zajonc" (١٩٧٨) على أنها تركيبات معرفية تنظم وتتوسط بين المدخلات البيئية والمخرجات التنظيمية للكائن الحي. أما" جولدشتين Goldstein" فيعرف الأسلوب المعرفي على أنه تكوين فرضي يقوم بعملية التوسط Mediation بين المثيرات والاستجابات، وهو يشير إلى الطرق المميزة التي ينظم بها الأفراد البيئة، ولذلك يوضح الأسلوب المعرفي العلاقة بين المثير والإستجابة.(Goldstein & Blackman,1978).

ويقدم كل من " فيرجس Forgus " و " شولمان Shulman " (١٩٧٩) مفهوم أوسع للأسلوب المعرفي على أنه التنظيم الإدراكي المتضمن لأنظمة متعددة عن مفهوم الذات، والنظرة العامة، والإستجابات النمطية المتعلمة، والأفكار، ذلك

التنظيم الإدراكي الذي يحدد أسلوب الفرد، ويضبط إدراكه وأسلوبه في التفكير وهدفه الموجه للسلوك واعتقاده ونظامه الشخصي ومركز انتباهه. (El-Faramawy,1984)

وينظر " جيلفورد Guilford " (١٩٨٠) إلى الأساليب المعرفية على أنها وظائف موجهة لسوك الفرد، ويمكن تعريفها على أنها قدرات معرفية Cognitive Abilities أو أنها ضوابط عقلية معرفية Cognitive Controls أو الاثنين معاً بالإضافة إلى اعتبارها سمات تعبر عن الجوانب المزاجية في الشخصية. ويفضل بعض المهتمين بالأساليب المعرفية تسميتها بالأساليب العقلية لأن ذلك يتفق مع النموذج الذي وضعه " جيلفورد " عن بنية العقل، ولأنها تربط بعمليات التذكر، والتفكير، وحل المشكلات. (سمية محمد علي، ١٩٩٢)

أما " نادية شريف " (١٩٨١) فتعرف الأساليب المعرفية بأنها ألوان الأداء المفضلة لدى الفرد لتنظيم ما يراه، وما يدركه من حوله، وفي أسلوبه في تنظيم خبراته في ذاكرته، وفي أساليبه في استدعاء ما هو مختزن بالذاكرة. أما " أنور الشرقاوي " (١٩٨١) فيعرفها علي أنها الفروق بين الأفراد في كيفية ممارسة العمليات المعرفية المختلفة مثل الإدراك، والتفكير، وحل المشكلات، والتعلم، وإدراك العلاقات بين العناصر أو المتغيرات التي يتعرض لها الفرد في الموقف السلوكي.

وتتفق " نادية شريف " (١٩٨٢) مع التعريف السابق الذي قدمه " أنور الشرقاوي " للأساليب المعرفية؛ حيث تعرفها في دراسة أخرى على أنها الاختلافات الفردية في أساليب الإدراك، والتذكر، والتخيل، والتفكير، كما أنها تمثل الفروق المجودة بين الأفراد في طريقتهم في الفهم، والحفظ، والتحويل، واستخدام المعلومات.

ويرى " دينيس تشايلد Dennis Child " (١٩٨٣) أن الأسلوب المعرفي يتضمن الأنماط المميزة لإدراك الشخص وتفكيره، مما يظهره الشخص في عملية حل المشكلات، ويتصل الأسلوب المعرفي بالحيل العقلية التي يتبناها أحد الأشخاص

ويعتبر " ميسيك" (Messick,1984) الأساليب المعرفية بمثابة الفروق الثابتة نسبياً بين الأفراد في طرق تنظيم المدركات والخبرات وتكوين وتناول المعلومات Information Processing أي أنها عبارة عن طرق متميزة أو عادات Habits يمارسها الأفراد في تكوين وتناول المعلومات، مع الأخذ في الاعتبار أنها عادات بسيطة بمفهوم نظرية التعلم التي تخضع مباشرة لمبادئ وقواعد الاكتساب والانطفاء، فهي تمثل أكثر العادات العامة للتفكير وليست ببساطة النزعة تجاه أفعال خاصة والتي أصبحت ثابتة نسبياً وآلية خلال الأداء، فهي الأساس البنائي الثابت للسلوك.

ويضيف "أنور الشرقاوي " (١٩٨٥) أن الأساليب المعرفية تفسر في ضوء أساليب النشاط التي تمارس في الموقف الذي يوجد فيه الفرد أكثر مما تفسر في ضوء النشاط ونوعه، وعلى ضوء هذا الاتجاه يعرف الأساليب المعرفية بأنها الفروق الفردية بين الأفراد، ليس فقط في المجال الإدراكي المعرفي، والمجالات المعرفية الأخرى كالتذكر، والتفكير، وتكوين المفاهيم، وتناول المعلومات، ولكن كذلك في المجال الاجتماعي ودراسة الشخصية. وبالتالي تصبح الأساليب المعرفية الادراكية جزءاً لا يتجزأ عن البناء المزاجي والانفعالي والدافعي وكجزء من الشخصية ككل.

ويقدم "أنور الشرقاوي" (٢٠٠٣) تعريفاً أكثر شمولية للأساليب المعرفية حيث يرى أنها تلك الطرق أو الأساليب التي يستخدمها الأفراد في تعاملهم مع المثيرات التي يتعرضون لها في مواقف حياتهم المختلفة، مما يساعدنا على كشف الفروق بين الأفراد ليس فقط في المجال المعرفي كالإدراك، والتذكر، والتفكير، وتكوين المفاهيم والتعلم وتكوين وتناول المعلومات، ولكن كذلك في المجال الانفعالي الوجداني، والمجال الاجتماعي ودراسة الشخصية، وبالتالي تفسر الأساليب المعرفية المميزة لفرد في ضوء أساليب النشاط التي يمارسها بغض النظر عن محتوى هذا النشاط.

من خلال العرض السابق لمفهوم الأساليب المعرفية يتضح أن الأفراد يختلفون فيما بينهم وبدرجات متفاوتة في أساليب تعاملهم وإدراكهم لمواقف الحياة المختلفة سواء أكان ذلك في المواقف التعليمية أم المواقف الاجتماعية، ولذلك يصبح لزاماً على المهتمين بتربية النشء وإعدادهم أن يراعوا مثل هذه الفروق، وأن يهيئوا من المواقف ما يناسب كل فرد وفقاً لأسلوبه المعرفي (Witkin et Al,1977). ويتفق هذا مع التفسيرات التي ترى أن الأساليب المعرفية عبارة عن نماذج لتحصيل المعلومات وتكوينها وتناولها، سواء أكان مصدر تلك المعلومات ذاتياً أي الفرد نفسه، أم خارجياً أي البيئة المحيطة، أما عندما تعرف الأساليب المعرفية على أنها العمليات التي يقوم على أساسها الفرد بتصنيف إدراكا ته للبيئة وتنظيمها، أو الطرق التي يستجيب بها لمثيرات البيئة، والمنهج الذي يأخذه في السيطرة عليها وتوجيهها فنجد أنها تشابه ما ذهب إليه " كرويلي" من أن الأساليب المعرفية تعني الطرق التي يسلكها الأفراد في تحصيل المعلومات من البيئة، فكلاهما يؤكد العالم الخارجي كمصدر للمعلومات التي يتعامل معها الفرد. (عبد المطلب القيريطي، ١٩٨٧)

ونري من خلال العرض السابق للمفهوم والتعريفات المختلفة للأساليب المعرفية أنه قد يحدث خلط بينها وبين بعض المفاهيم النفسية الأخرى، ولذلك سنعرض أهم الفروق بين الأساليب المعرفية وتلك المفاهيم النفسية الأخرى بغية الوصول لفهم أفضل لطبيعة الأساليب المعرفية كما يلي:

(٢) الفروق بين الأساليب المعرفية وبعض المتغيرات النفسية

سوف نعرض هنا أهم المتغيرات النفسية التي لها علاقة بالأساليب المعرفية أو قد يحدث تداخل لدى البعض بين مفهوم هذه المتغيرات والأساليب المعرفية كما يلي:

أ- الفرق بين الأساليب المعرفية وكل من الذكاء، والقدرات العقلية

يتضح الفرق الرئيس بين مفهوم الأساليب المعرفية، ومفهوم الذكاء والقدرات المعرفية أنه عندما نعرف مفهوم الذكاء أو القدرات العقلية فإننا نعني بالدرجة الأولى مستوى المهارة Level of Skill أو الأداء بمعنى أنه كلما زادت الدقة والمهارة في أداء عمل من الأعمال أو حل موقف من المواقف عبر ذلك عن مستوى عال للذكاء أو القدرة، وكان ذلك أفضل أو أكثر تعبيراً عن قدرة أكبر لما يمتلكه الفرد من الصفة المقاسة. في حين أنه كلما انخفض مستوى الأداء أو مستوى الدقة في موقف من المواقف كان ذلك دليلاً على ضعف القدرة العقلية أو الذكاء أو معبراً عن قدر أقل لما يمتلكه الفرد لصفة من الصفات. أما الأساليب المعرفية فإنها تهتم بالدرجة الأولى بحالة Manner أو شكل Form النشاط المعرفي الذي يتم به اكتساب أو أداء سلوك ما. إذاً هو مفهوم يتعلق بشكل النشاط المعرفي الممارس وليس بمحتواه، وبالتالي فهو يشير إلى الفروق الفردية في الطريقة أو الأسلوب الذي يدرك به الأفراد كل ما يدور حولهم، أو عندما يفكرون في كل ما يواجههم من مشكلات(نادية شريف،١٩٨٢) إذاً هي مفهوم يعمل على تجميع الخصائص الفردية في أنماط كلية متمايزة ليس بغرض المفاضلة بين نمط وآخر، وإنما بغرض تحديد مجموعة من الخصائص والمواصفات التي تميز بين الأفراد في تعاملهم مع الموضوعات المختلفة(نادية شريف، ١٩٨١).

كما أن الأساليب المعرفية تختلف عن القدرات العقلية وذلك لأن أبعاد القدرة تتجه أساساً لمحتوى الإدراك أو ما يسمى (ماذا) أي نوع من العمليات يرتبط بأية عملية أو بأي شكل، وعلى العكس من ذلك فالأساليب المعرفية الإدراكية تركز على السؤال (كيف) أي على الطريقة التي يحدث بها السلوك (Entwistle & Ramsdan,1982)

ويميز "ميسيك" (Messick,1984) بين الأساليب المعرفية والقدرات العقلية على النحو التالي:

١- تشير القدرات العقلية إلى محتوى المعلومات ومكونات العمليات التي تتم أثناء تجهيز المعلومات Information Processing في حين تشير الأساليب المعرفية أصلاً إلى طريقة التوصل إلى المعرفة.

٢- القدرات العقلية محدودة الامتداد بالنسبة للأساليب المعرفية فالأولى تختص بمجال معين وبوظائف محددة مثل القدرات العددية والإدراكية، والرياضية واللفظية. في حين تظهر الأساليب المعرفية عبر مجالات القدرات جميعاً بالإضافة إلى المجال الاجتماعي ودراسة الشخصية.

٣- تقاس القدرات بتحديد مستوى أداء الأفراد، وهو ما يشير إليه "كرونباك" بقياس أقصى الأداء، في حين تقاس الأساليب المعرفية في ضوء شكل أو كيفية الأداء الصادر عن الأفراد.

٤- تتميز القدرات العقلية بأنها سمات أحادية القطب، بينما الأساليب المعرفية ثنائية القطب. فالقدرات يبدأ مداها من نهاية صغرى، في حين تمتد الأساليب المعرفية من طرف له خصائص وصفات معينة إلى طرف مناقض له.

هذا وقد أجمع كثير من الباحثين على أن معرفة الأسلوب المعرفي لا يقل أهمية بالنسبة للعملية التعليمية عن نسبة ذكاء الفرد.

ب- الفرق بين الأساليب المعرفية و الضوابط المعرفية

يحدد "ميسيك" (Messick,1984) أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأساليب المعرفية والضوابط المعرفية cognitive Controls على النحو التالي:

١- تختلف الضوابط المعرفية عن الأساليب المعرفية في أن الضوابط المعرفية تكون في أغلبها وحيدة القطب Unipolar، وتهتم بشكل نسبي بوظائف متخصصة في المجال الذي نتناوله، كما أنها تتميز في أغلبها بالقيمتين التوجيهية والكمية. ولذلك فهي أقرب إلى ما يسمى بالقدرات الأسلوبية Stylistic Abilities. في حين تعد الأساليب المعرفية من الأبعاد ثنائية القطب.

٢- تمثل الضوابط المعرفية مجالاً مقارناً Comparatively Domain، ووظائف نوعية متخصصة في ذاتها، عل العكس مما تتميز به الأساليب المعرفية من كونها مستعرضة في الشخصية، وتتخطى العديد من المجالات النفسية، سواء أكان ذلك في مجال القدرات العقلية أم في المجال الاجتماعي، أم في مجال الشخصية. ومن أمثلة هذه الضوابط، الضابط المعرفي الآلية القوية مقابل الآلية الضعيفة Strength vs Weakness Autoimmunization؛ حيث يشير هذا الضابط إلى تصنيف الأداء المهاري لدى الأفراد بما يشبه الأداء المتوقع في القدرةالعامة.

٣- تعد الأساليب المعرفية من المتغيرات عالية الرتبة (أي ذات رتبة أعلى من منظور التحليل العاملي ونشأت من تحليل عاملي من الدرجة الثانية مثلاً) تنظم وتتحكم في كل من الضوابط المعرفية والاستراتيجيات المعرفية، والقدرات المعرفية، وبعض متغيرات الشخصية الأخرى في شكل أنماط وظيفية Functional Patterns مميزة للأفراد (أي الأداء النمطي Typical Constructed في مقابل التغاير والتباين في الأداء).

٤- تختلف الضوابط المعرفية عن الأساليب المعرفية في أن الضوابط تعد بمثابة متغيرات تنظيمية Regulating Variables، حيث أنها أقل انتشاراً عبر المجالات النفسية المختلفة. وبالتالي تحقق وظائف خاصة. في حين تنتشر الأساليب المعرفية عبر عدة مجالات نفسية مختلفة مما يجعلها أكثر اتساعاً.

٥- تتشابه الضوابط المعرفية والأساليب المعرفية في نوع النشاط الممارس؛ أي أنهما يتسقان في طبيعة النشاط المعرفي الذي يمارسه الفرد والمجال الذي يمارس فيه النشاط.(Guilford, 1980؛ أنور الشرقاوي، ١٩٨٩).

ج- الفرق بين الأساليب المعرفية و الإستراتيجيات المعرفية

الأساليب المعرفية من وجهة نظر "ميسيك" (Messick,1984) هي عبارة عن طرق عامة يستخدمها الأفراد في الأعمال العقلية، أي أنها بمثابة طرق للإدراك، والتفكير، والتذكر، وتكوين المعلومات، وحل المشكلات. ويستدل على هذه الإستراتيجيات من طرق التوصل إلى المعرفة.

ويفرق "ميسيك" بين الإستراتيجيات المعرفية والأساليب المعرفية؛ حيث يرى أن الإستراتيجيات المعرفية هي التريث الشعوري أو غير الشعوري للقرارات، والتي يتخذها الفرد حين يكون في موقف الاختيار بين عدة بدائل، مما يجعل الفرد يعدل من الإستراتيجيات المستخدمة كوظيفة لاختلاف وتعدد المواقف التي يتعرض لها. في حين يعبر الأسلوب المعرفي عن الاتساق الذاتي المميز الواعي لدى الفرد في تناوله للموضوعات التي يتعرض لها عبر أنواع كثيرة ومستعرضة من المواقف دون اختيار. أي أن الاثنين يختلفان من حيث عمومية الوظيفة. فالإستراتيجيات المعرفية غالباً ما تتسق مع خصائص المهام التي يقوم بها الفرد، أو المواقف التي يتعرض لها، في حين تتضمن الأساليب المعرفية التوجه العام نحو المهام والمواقف. وتتميز الأساليب المعرفية عن الإستراتيجيات المعرفية في أن الأولى تظل ثابتة نسبياً لفترات طويلة من حياة الفرد مما يجعلها من الوسائل المهمة للتنبؤ بسلوك الأفراد في المواقف المختلفة في حين يمكن أن تتعرض الإستراتيجيات للتغير بواسطة التدريب تحت شروط معينة. (أنور الشرقاوي، ١٩٨٩)

ويتفق مع ما سبق ما أكده كل من "شيبمان و شيبمان" (Shipman & Shipman,1985) على أن الإستراتجيات المعرفية يدخل فيها جانب الشعور الواعي المنظم والمخطط في تكوين وتناول المعلومات لاتخاذ القرارات، وبالتالي الفرد يعرف ويحدد دلالات استجابات السلوك الصادر منه، وبعد ذلك يدرجها تحت تأثير الإستراتيجيات التي سوف يستخدمها. أما الأساليب المعرفية فتأخذ في الاعتبار ما قبل الشعور أو التنظيم pre-dispositions أي دون الأخذ في الاعتبار الشعور والوعي الملزم لإصدار السلوك.

د- الفرق بين الأساليب المعرفية والأنماط:

يختلف مفهوم الأساليب المعرفية واستخدامه كوسيلة لتحديد الفروق الفردية بين الأفراد في المجالات النفسية المختلفة عن نظريات الأنماط التي تركز على محاولة تحديد العلاقة بين السمات الجسمية والنفسية وتصنيف الأفراد تبعاً لإحدى هذه الصفات الجسمية والنفسية؛ حيث تصنف نظرية "كريتشمر وشيلدون Kretshmer & Sheldon" (١٩٢٥؛ ١٩٣١) أربعة أنماط للأفراد(المكتنز-الرياضي-الواهن-المشوه البنية) ولكل نمط سمات مزاجية Temperaments تختلف سمات النمط الآخر. وكذلك قدم "كارل يونج Yug" (١٩٢٣) تصبيفاً آخر، والذي قام بتطويره "أيزنك Eysenk" (١٩٤٧) والذي أدى إلى ظهور فكرة الانبساط Extrovertion والانطواء Introvertion وبالرغم من التشابه الملاحظ بين نظريات الأنماط والأساليب المعرفية باعتبارها أساليب لتصنيف الأفراد فإن هناك فروقاً جوهرية بينهما (Vernon,1973؛ جمال محمد علي، ١٩٨٧؛ نادية شريف، ١٩٨٢) تتمثل فيما يلي:

١- تعتمد بعض نظريات الأنماط في تصنيفها للأفراد على ارتباط الجوانب الجسمية بالجوانب المزاجية للشخصية المعتمدة على التطرف والتميز في النواحي الجسمية، في حين أن بعض الدراسات والبحوث المهتمة بهذه العلاقة أظهرت وجود

ارتباط ضعيف بين التكوين الجسمي والتكوين المزاجي.

٢- تنظر بعض نظريات الأنماط إلى طبيعة الشخصية الإنسانية كنتيجة للدراسات البيولوجية والمفاهيم العصبية ومفاهيم الكيمياء الحيوية، وهذا يوضح اعتماد تلك النظريات على الخصائص الجسمية بصفة خاصة. وبالرغم من أهمية الخصائص الجسمية فإن خصائص الشخصية بصفة عامة تتضمن العلاقات بين الناس، والآثار الثقافية، وآثار عمليتي التطبيع والتنشئة الاجتماعية والثقافية. وكل هذه العلاقات تلعب دوراً مهماً في تحديد خصائص وسمات الشخصية المختلفة.

٣- إن التصنيف على أساس الأساليب المعرفية يؤكد على أنه ليس تصنيفاً ثنائياً للأفراد في أنماط متمايزة، وإنما يقصد به أن الأفراد يتوزعون على سلم متدرج ومتصل وأنه توزيع اعتدالي بحيث يصبح للبعد المعرفي الواحد منوال واحد وليس منوالين كما تعني نظرية الأنماط. كما أن هذا التدرج المتصل ليس إلا قطبين لمقياس واحد يبعد أحدهما عن القطب الآخر في اتجاهين مختلفين بالنسبة لنقطة متوسطة.

(٣) الخصائص والصفات المميزة للأساليب المعرفية

نتيجة للاهتمام المتزايد بالأساليب المعرفية والمتجلي من الكم الهائل من البحوث والدراسات التي اتخذت الأساليب المعرفية موضوعاً لها أمكن التوصل إلى عدد من الخصائص المميزة للأساليب المعرفية، وهناك اتفاق شبه تام بين معظم الباحثين على تلك الخصائص والتي يذكرها " أنور الشرقاوي" (١٩٨٩؛ ١٩٩٢؛ ٢٠٠٣) فيما يلي:

١- تتعلق الأساليب المعرفية بشكل أو بإطار Form النشاط المعرفي الذي يمارسه الفرد في الموقف لا بمحتوى Content هذا النشاط، مما يجعلها ترتبط بالفروق الفردية بين الأفراد في كيفية ممارسة العمليات المعرفية مثل التفكير والإدراك وحل المشكلات وتكوين وتناول المعلومات، ولذلك فإن تعريفها يربط بكيفية أداء النشاط المعرفي أكثر مما يرتبط بمستوى هذا النشاط أو موضوعه.

٢- إن الأساليب المعرفية ثابتة نسبياً لدى الأفراد، ولكن ليس معنى ذلك أنها عير قابلة للتغير أو التعديل، فقد تتغير الأساليب المعرفية المميزة لفرد ما ولكن ليس بسهولة وسرعة. وهذا الثبات النسبي يساعد على التنبؤ بالأسلوب الذي يتبعه الفرد في المواقف التالية بدرجة عالية من الثقة مما يساعد في عمليات التوجيه Counseling و الإرشاد Guidance النفسي والتربوي على المدى البعيد.

٣- تعد الأساليب المعرفية من الأبعاد المستعرضة والشاملة للشخصية، مما يساعد على اعتبارها في ذاتها محددات للشخصية. حيث أنها تتخطى التميز التقليدي بين الجانب المعرفي والجانب الانفعالي في الشخصية. فكثيراً من وسائل قياسها له قيمة في قياس الجوانب غير المعرفية وتحديد خواصها لدى الأفراد أي في سلوكهم (عبد العال عجوة، ١٩٨٦) وقد أشار "وتكن"(Witkin ,1974 (إلى أن أهم صفة محايدة للأساليب المعرفية مستمدة من أنها ثنائية القطب، وبالتالي تعد هذه سمة مهمة.

٤- يمكن قياس الأساليب المعرفية بوسائل لفظية وغير لفظية مما يساعد مساعدة كبيرة في تجنب كثير من المشكلات التي تنشأ عن اختلافات المستويات الثقافية للأفراد التي تتأثر بها إجراءات القياس التي تعتمد بدرجة كبيرة على اللغة، إذن لها صفة العمومية أو الانتشار Pervasive وتستخدم في تقييم السلوك الإنساني. (عبد العال عجوة، ١٩٨٦)

٥- تتصل الأساليب المعرفية بخاصية الأحكام القيمية Value Judgments مما يجعلها من الأبعاد ثنائية القطب Bipolar ويميزها عن الذكاء والقدرات العقلية وهي من الأبعاد وحيدة القطب Unipolar. فمن المعروف بالنسبة للذكاء

والقدرات العقلية أنه كلما زاد نصيب الفرد في أي قدرة من القدرات كان ذلك أفضل. أما بالنسبة للأساليب المعرفية فإن كل قطب له قيمة مميزة في ضوء ظروف وشروط خاصة. وأن اتصاف الفرد بخصائص أي من القطبين ثابت إلى حد كبير، وتعد هذه من أهم صفاتها.(سمية محمد على،١٩٩٢)

(٤) تصنيف الأساليب المعرفية

ومع بداية السبعينات من القرن الماضي اتسع الاهتمام بدراسة الأساليب المعرفية وتعددت تصنيفات هذه الأساليب مما أدى إلى ظهور عدد من الأساليب كانت ومازالت محور اهتمام الباحثين سواء غير العرب أو الباحثين العرب وهذه الأساليب (أنور الشرقاوي، ١٩٨٩؛ ١٩٩٢؛ ٢٠٠٣) هي:

١- الاعتماد - الاستقلال عن المجال الإدراكي.
٢- التبسيط المعرفي - التعقيد المعرفي.
٣- التحليل - الشمول.
٤- المخاطرة – الحذر.
٥- السيادة التصورية – السيادة الإدراكية.
٦- الاندفاع – التروي.
٧- الدجماطيقية.
٨- التسوية – الإبراز.
٩- المجرد المعقد – العياني البسيط.
١٠-تحمل الغموض أو الخبرات غير الواقعية – عدم تحمل الغموض.
١١-التركيب التكاملي (التجريدي – العياني).
١٢-التمايز التصوري.
١٣-البأورة – الفحص.
١٤-التجميع الوصفي – التجميع التحليلي.
١٥-الإنطلاق – التقييد.
١٦-الضبط المرن – الضبط المقيد.

المراجع:

١. أنور محمد الشرقاوي(١٩٨١): الأساليب المعرفية المميزة لدى طلاب وطالبات بعض التخصصات الدراسية في جامعة الكويت. مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد(١)،السنة(٩)،٦٣-٨٥.
٢. أنور محمد الشرقاوي(١٩٨٥): الفروق في الأساليب المعرفية الإدراكية لدى الأطفال والشباب والمسنين من الجنسين. مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، العدد(٤)، السنة (١٣)، ٨٩-١٣.
٣. أنور محمد الشرقاوي(١٩٨٩): الأساليب المعرفية في علم النفس. مجلة علم النفس، الهيئة العامة للكتاب، السنة(٣)، العدد(١١).
٤. أنور محمد الشرقاوي(١٩٩٢): علم النفس المعرفي المعاصر ط١). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٥. أنور محمد الشرقاوي(٢٠٠٣): علم النفس المعرفي المعاصر ط٢). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٦. بدوي إبراهيم علام (١٩٨٥): تعلم سلوك التنبؤ: دراسة تجريبية في إطار الوظيفة الاحتمالية. رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس.

٧. جمال محمد على(١٩٨٧): العلاقة بين الأساليب المعرفية وقدرات التفكير. رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس.

٨. دينيس تشايلد(١٩٨٣): علم النفس والمعلم. (ترجمة عبد الحليم محمود وآخرون، ومراجعة عبد العزيز القوصي) الطبعة العربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٩. سمية أحمد محمد علي(١٩٩٢): أثر تماثل واختلاف مستويات الذكاء والتحصيل الدراسي على الابتكارية وبعض الأساليب المعرفية. رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق.

١٠. عبد العال حامد عجوة(١٩٨٦): العلاقة بين الدوجماتية وبعض الأساليب المعرفية لدى طلاب كلية التربية. رسالة ماجستير عير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق.

١١. عبد المطلب أمين القيريطي(١٩٨٧): الأسلوب الادراكي المعرفي وعلاقته بالإبداع الفني والخصائص النفسية لرسوم تلاميذ الملاحلة المتوسطة (الاعدادية) بمدينة الرياض. مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، المجلد(٢) العدد(٣).

١٢. فؤاد عبد اللطيف أبو حطب(١٩٩٠): القدرات العقلية (ط٥). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٣. فاطمة حلمي فريد (١٩٨٦): التأمل / الاندفاع وعلاقته ببعض المتغيرات المعرفية. رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق.

١٤. نادية محمود شريف (١٩٨١): الأنماط الادراكية المعرفية وعلاقتها بمواقف التعلم الذاتي والتعلم التقليدي. مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت،العدد(٣)، السنة(٩)،١٢١-١٣٨.

١٥. نادية محمود شريف (١٩٨٢): الأساليب المعرفية الادراكية وعلاقتها بمفهوم التمايز النفسي. عالم الفكر، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ١٠٩-١٣٤.

16. Coop, R. H. & Brown, L. D. (1970): Effects of COGNITIVE Style and Teaching Method on Categories of Achievement. Journal of Educational Psychology, 61(5), 400-405.

17. El-Faramawy, H. A. (1984): The Correspondence between Teacher and Student Cognitive Style and its Implications for Academic Achievement and Academic Tendency. Unpublished Doctoral Dissertation, University of Wales.

18. Entiwistle, N. J. & Ramsdan, P. (1982): Understanding Student Learning Classroom Help. London, Canberra: Nichols Pubshing.

19. Goldstein, K. M. & Blackman, S. (1978): cognitive Style: Five Approaches and Relevant Research. New York, NY: John Wiley & Sons.

20. Guilford, J. P. (1980): Cognitive Styles: What are they?. Educational and Psychological Measurement, 40, 715-735.

21. Saracho, O. N. & Dayton, C. M. (1980): Relationship of Teacher s cognitive styles to Pupil s academics achievement gain. Journal of Educational Psychology, 72(4), 544-549.

22. Shipman, S. & Shipman, V. (1985): Cognitive Styles: Some Conceptual Methodological and Applied Issues Published by American Education Research Association. Review of Research in Education. 21, 229-291.

23. Vernon, P. E. (1973): Multivariate Approaches to Study of Cognitive Styles. In J. R. Royce(ED.): Multivariate Analysis, Psychological Research. New York, NY: Academic Press.

24. Witkin,H. A. & Goodenough, D. R. (1981): Cognitive Styles: Essence & Origins. Field Dependence & Field Independence. New York, NY: International Universities Press.

25. Witkin,H. A. , Moor, C. A. , Oltman, P. K., Goodenough, D. R., Friedman, f. , Owen, D. R. & Raskin, E. (1977): Role of the Field-dependent and Field-independent Cognitive Styles in Academic Evaluation: A longitudinal Study. Journal of Educational Psychology, 69(3), 197-211.

* أستاذ علم النفس التربوي المساعد – قسم التربية وعلم النفس – كلية المعلمين في محافظة جدة.

** American Psychological Association